

الشباب المسلم كما يريد الإسلام



www.balagh.com

قال تعالى على لسان لقمان الحكيم: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان / 13). لقد أكدنا في أحاديثنا مراراً على أن الإسلام يريد الإنسان متوازناً متعادلاً في نظرتة للواقع وموقفه منه، كما يريد منسجماً في شخصيته، تتطابق عقيدته وعواطفه وسلوكه، مستفيداً من كل فرصة تتاح له خير الاستفادة. فإنَّ الفرص لا تتوفر دائماً لتغيير الأحوال والحالات والإمكانات. وقد روي عن علي (ع) قوله: "بادر شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك". وكذلك قوله (ع): "ما أقرب الدنيا من الذهاب والشيب من الشباب". ومن هذه الفرص مرحلة الشباب بما فيها من قوة وجمال وصفاء نفس وتفتح على الحياة وكأنها تماثل مرحلة الربيع في الطبيعة. انها المرحلة التي تبنى فيه الشخصية بكل جوانبها العقائدية والعاطفية والتربوية في إطار من التعقل السليم، والتربية المتأصلة في النفس ولذلك يركز الإسلام عليها: وقد روي عنه (ص): "والتوبة حسنة لكنها في الشباب أحسن". وقوله (ص): "انَّ يظل الشباب الناشء في عبادة الله بظله". وقوله (ص): "من تعلم القرآن في شبابه اختلط بلحمه ودمه". وقوله (ص): "انَّ يحب الشاب الذي يفني شبابه في طاعة الله". نعم أراد الله أن يكون الشباب قوة وجمالاً في الباطن كما هو كذلك في الظاهر: يقول الامام العسكري (ع) وهو أحد أئمة أهل البيت (ع): "حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن". ويصف الرسول فاطمة الزهراء (ع) فيقول: ان ابنتي فاطمة ملا الله قلبها وجوارحها إيماناً حتى مشاشها.

(والمشاش هي رؤوس العظام اللينة) ومثله (ملء عمار إيماناً إلى مشاشه). ونحن نجد في قصة النبي يوسف (ع) انسجاماً رائعاً بين الجمال البدني حاشٍ ما هذا بشراً أن هذا إلا ملك كريم (يوسف/31). والجمال الخلقي. فهو العبد الشاب الصالح في مواقفه المتنوعة الداعي إلى ربه حتى وهو في سجنه يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم أنا الواحد القهار. وهو الشاب الصابر والممتنع عن المعصية مهما كان الاغراء: وغلقت الأبواب وقالت هيئت لك قال معاذ أنا انه ربي أحسن مثواي انّ لا يفلح الظالمون. وتبقى شخصيته ثابتة منسجمة حتى بعد أن صار حاكماً قوياً ليقول: رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين. - وسائل الإسلام التربوية لتأكيد هذه الصورة: وقد استخدمت النصوص الإسلامية شتى الوسائل لتأكيد الحقيقة الأنفة ومنها ما يلي: أولاً: التوجيه المباشر في النصوص حيث يتم حث الشباب على تأصيل العقيدة في النفس، وربط العواطف بالعقيدة وبالتالي الانطلاق في السلوك من هذين المنبعين (العقيدة والعاطفة). وهذا ما نلاحظه في تعليمات لقمان لولده: وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بأنا أن الشرك لظلم عظيم، ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير، وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون، يا بني إنها أن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها أنا أن لطيف خبير يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم الأمور، ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً أن لا يحب كل مختال فخور، واقصد في مشيك واغضض من صوتك أن أنكر الأصوات لصوت الحمير. وفي وصية أمير المؤمنين لولده الحسن بن علي (ع)، وهي من أروع الوصايا: حيث يُعرض فيها الامام من جملة ما تعرض إلى قضايا كثيرة وهذه مقاطع من الوصية: "فإني أوصيك بتقوى أنا - أي بني - ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وإي سبب أوثق من سبب بينك وبين أنا أن أنت أخذت به. احب قلبك بالموعظة، وامته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونورّه بالحكمة، وذوّه بذكر الموت، وقررّه بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا. فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك. وأمر بالمعروف تكن من أهله وانكر المنكر بيدك ولسانك. واجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر، ذو نية سليمة، ونفس صافية. (يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك. فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها). ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم".

ثانياً: التأكيد على قيمة التحلي بهذه الصفات فقد ذكرت النصوص نتائج رائعة لذلك: ومنها قوله (ص): "إن أنا يظل الشاب الناشء في عبادة أنا بظله". وقال الامام الباقر (ع): كان

أبي زين العابدين (ع) إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم ادناهم إليه وقال: مرحباً بكم أنتم ودائع العلم ويوشك إذا أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين. ثالثاً: تقديم النماذج السامية لذلك من خلال الأنبياء وقد أكدت بعض النصوص أن الأنبياء بعثوا في مرحلة الشباب من قبيل قوله تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) (يوسف/ 22). قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. وعنه (ص): ما بعث الله نبياً إلا شاباً. وعنه (ص): ما بعث الله نبياً إلا وهو شاب، ولا أوتي علم عالماً إلا وهو شاب. وعنه (ص) يا بني عبدالمطلب: إني وإي ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به أني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة. وما أكثر السلوكات النموذجية للأنبياء (ع) فهذا الفتى إبراهيم (ع) يقول عنه القرآن: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُم لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا إِلَّا لِقَاءَ الزَّوْجِ الْمَحْكُومِ * وَإِبْرَاهِيمَ نُمُودًا عَلَى الْكِبَرِ وَكَانَ عَلَيْهِ الْحَمْدُ * وَنَادَىٰ بِلِقَاءِ رَبِّهِ فَلَمَّا رَأَىٰ أَن يُضَلَّىٰ أَنَّىٰ وَجْهَهُ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ شِرْكٌ لِّكَ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ * وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّافِينَ) (البقرة/ 110-128). وإبراهيم نموذج الموحّد الواله الصابر الثابت على الاخلاص المضحي المتبرء من الشرك العائد بالآواه الحليم المنيب. وهذا اسماعيل (ع) الشاب المؤمن الذي يعلن انه أن صبر على الفداء فذلك بأمر الله: قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين. وهذا يوسف (ع) يقول عنه تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف/ 24). وهذا موسى (ع) لا تغره القوة بل يصنع الخير ويعلن فقره: فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير. وهؤلاء الفتية من أصحاب الكهف يرفضون مجتمعهم الكافر نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وأروع أسوة سيدنا محمد (ص) النبي الأمين حيث يقول تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب/ 21). وقد روي عنه قوله: أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى. وقد جمع (ص) كل الصفات الحميدة حتى قال فيه تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم/ 4). رابعاً: ومن الأساليب التأكيد على مسؤولية الشاب الخاصة عن شبابه: فقد روي عنه (ص) قوله: "إن العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه". وعن الامام علي (ع) قوله: "من لم يجهد نفسه في صغره لم ينبل في كبره". خامساً: نفرت النصوص من الشاب المنحرف كما في قضية موسى والعبد الصالح الذي قضى على فتى يضل أبويه الصالحين. سادساً: كما حث المجتمع والأبوين بشدة على ابتغاء الولد الصالح وتربيته ومساعدته على النشأة الصالحة، وعدم دفعه للعقوق. فقد ورد عن رسول الله (ص) قوله: "لعن الله والدين حملاً ولدتهما"

على عقوقهما". وعنه (ص) "أوصيكم بالشبان خيرا فإنهم أرق أفئدة". سابعاً: دعى الإسلام الشاب إلى اختيار الأصحاب المتخلقين بالخلق الحسن واجتناب المنحرفين: فهذا علي بن الحسين (ع) يقول لبعض بنيّه: إياك ومصاحبة الكذاب فإنّّه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، والفاسق فإنّّه بايعك بأكله أو أقل من ذلك، والبخيل فإنّّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، والأحمق فإنّّه يريد أن ينفعك فيضرك، والقاطع رحمه فإنني وجدته ملعوناً في كتاب الله. وهكذا يعمل الإسلام على صناعة جيل شاب صالح، يحمل الأمانة الإلهية إلى من بعده. ويحقق مقتضيات الخلافة بكل قوة وصلابة.